سلسلة كن جيداً، وانطلق

Be Good, Do Good

تيري المرعبة

دار الراتب الجامعية

تِيري المُرعِبَة

أُحبُّ الخَريف.. ذلك الفَصلُ الذي يرسمُ رُسوماتٍ سحريّةً على الطُّرقاتِ.. حين تُقرّرُ أوراقُ الشَّجرِ أن تتركَ أشجارَها وتتحوَّلَ إلى ظلالٍ من الذَّهَب ذات ألوانٍ خَمريّةٍ وعنّابيّةٍ وعَنبريّةٍ، كضَفيرةٍ مزدانةٍ بالألوانِ البهيّةِ..

فالعالمُ هنا ليسَ كما تعرِفُه، لقد تحوَّلَ إلى عالمٍ متعدّد الألوان.. كنتُ أحدِّقُ من النّافذةِ، غارقة في أفكَاري، والقلمُ يتراقَصُ على دَفترِ مذكِّراتي.. كنتُ على وشْكِ تدوينِ بعضِ الكلِماتِ والذِّكرياتِ وإذ بي أسمعُ أمّي تُناديني: «أليسون! أليسون! ألي...» علمتُ أن شَيئاً ما حدَثَ عندما نادَتني بصوتٍ صاخبٍ جداً.. فتساءلتُ في نَفسي: هل هذه ربّما حَالةٌ

أُخرى من حالاتِ الطَّوارِئ؟ عزيزتي...

فصرختُ رداً على ندائِها: «أنا قادِمة».. نزلتُ مُسرعةً على السلَّم قبلَ أن تتمكَّن أمّي من إحضارِ حَلوى «اليَقطينِ» إلى المائِدةِ.. كم كرِهتُ العادَات العائليّةَ التقليديّةَ.. أعني بشكلٍ جدّيٍّ.. هل منَ المفتَرضِ أن

تجعَلَني «حَلوى اليَقطين» أشعُر بأَنَّني لطيفةٌ ومحبوبةٌ؟

في صَباحِ ذلك اليَوم كانَت أمّي تقومُ باستِخراجِ أحشَاء اليَقطينةِ البرتقاليّةِ السَّمينةِ الضَّخمةِ.. وكنتُ أتساءَل عمّا إذا كنتُ أنا الوَحيدةَ التي وجدتُ القَرعَ بشِعاً وثَقيلاً، إنها جيّدة فقط لصُنعِ فوانيس جَاك، ذلك القَرعُ المجوَّفُ المنقوشُ والمُضيء. وتساءَلتُ أيضاً لماذا يُشبّهُ بعضُ الناسِ أطفالَهم الصّغار باليَقطين؟ ربما لأنّهم يقصِدون أنّ طفلَهُم حُلوٌ كفَطيرةِ اليَقطينِ! أتمنّى ذلك بإخلاصٍ.

صرخَت لي أمّي مرّةً أُخرى: «أيها الوَحْش مونشْكِن»! ففكَّرت أنّ هذا يَكفي! وإذا لم تُناديني مرّة أُخرى بـ «ألي» فقَط، فسوفَ أُرعبُها كعقوبةٍ مقبلةٍ لها، وقد هيّأتُ نفسي لذلك.

Ah! I want you to be a big girl for the next two

«ألي» أريدُ منكِ أن تَكوني فتاةً كبيرةً مدّةَ ساعتَين مقبِلتَين، فكلوديا لن تَأتي اليَوم، لذلك أتوقَّعُ منكِ أن تَكوني جاهِزةً وذات همّة».

كانَت كلوديا مربّيةَ الأطفَال، وكانَت مرِحةً جداً وأنا أُحبُّها كَثيراً! وكانَ لدَيها وَشمٌ رائعٌ على شكلِ جُمجمةٍ على ذِراعها، وقد كانَت تسمَحُ لنا بلمسِه إذا تصرَّفنا بشكلٍ جيّدٍ. وكنّا أنا وكلوديا نرسُمُ على أصابعِ أقدامِنا بِطلاءٍ لامعٍ، ونزيّن شعرَ بعضِنا البَعض، ونشاهِدُ فيلماً معاً أو فيلمَين أحياناً. كان مُذهلاً كيف كنّا نتصرَّف بشكلٍ جيدٍ عندَما تكونُ كلوديا مَوجودَة، وكانَ الأمرُ أشبَه بمنافَسةٍ لإثارةِ إعجابِها بتصرفاتِنا لدرجةِ أنّها يمكنُ أن تُحدّثَ العالمَ عن تلكَ الفتاتَين الرائعتَين اللّتَين تربّيهما. تلك الملاكَين المثاليّتَين! كنتُ حينذاك أبلغُ اثنتَي

عشرةَ سنةً من العُمر، وقد أصبَحتُ كبيرةً بما فيهِ الكِفاية للاستِغناءِ عن المربّيةِ. أعني أنّ والدِي كان قد وعَدَني بِشراءِ هاتفٍ محمولٍ لي في عيدِ ميلادِي المقبِل، وهو كانَ لَطيفاً معَنا وطيِّبَ القَلبِ. يوبيييي! وقد فرِحتُ جداً وتمنَّيتُ بصدقٍ لو أنَّ أبي يستطيعُ التواجُدَ في المنزلِ لوقتٍ أطوَل. من الجميلِ أخيراً أن يكونَ لي هاتِفي الخاصّ، ولكنَّ أمّي لم تكُن متأكّدةً من ذلك تماماً، لذلكَ كنتُ حقاً لطيفةً هذا الشَّهر، لأنّها، وبالرَّغمِ من وعدِ أبي لي، كانَت الشَّخص الوحيد الذي يملِكُ القَولَ الفَصل في كلِّ شَيء، وحتّى الآن يبدُو أنَّ أمّي راضِية حقاً عنّي. فقالت: «أليسون المدهِشَة! أنّا متأكّدةٌ من أنكِ انتبهتِ أنني تحدَّثتُ قليلاً «عَنا» عندما أخبرتُكِ عن كلوديا.. وهذا الكَلامُ

يشيرُ إلى الثّنائي المدهِش أليسون وتيريزا! أو هل ينبَغي أن أقولَ الثنائيَّ المروّع». كان لَدى تيري بالتّأكيد الكثيرُ من الأشياءِ لتتفوَّه بها، حتّى أنها لم تتركني أتكلَّم، وكانَت مزعجةً جداً جداً! لقد كانَت تستَطيع ببسَاطة التواجُدَ في كلِّ مكانٍ، والحقيقةُ أنّ لدينا مَنزلاً متواضِعاً (وهذا أقلُّ ما أَصِفُه به) لا يساعِدني على الإطلاقِ. أَعني أنَّ الفَتاةَ عُموماً تحتاجُ للحِفاظِ على خُصوصيَّتها، أليسَ كذلك؟ وكانَت لَدى أمّي سياسةٌ صارِمةٌ ضدَّ الأبوابِ المغلَقَةِ، فهي لا تسمحُ بذلك، وهذا يَعني أنَّ تيري كانَت لدَيها حُريةٌ كبيرةٌ لتُعربَ عمّا تُريدُ في أيِّ مكانٍ شاءَت.. ففي كلِّ مرّةٍ كنتُ أودُّ أن أقرأَ فيها كِتاباً كانَت تأتي وتقومُ بِهجاءِ الكلِماتِ بصَوتٍ عالٍ كمَن لا يستطيعُ النُّطقَ.. إنّها تُلاحقُني دَوماً..

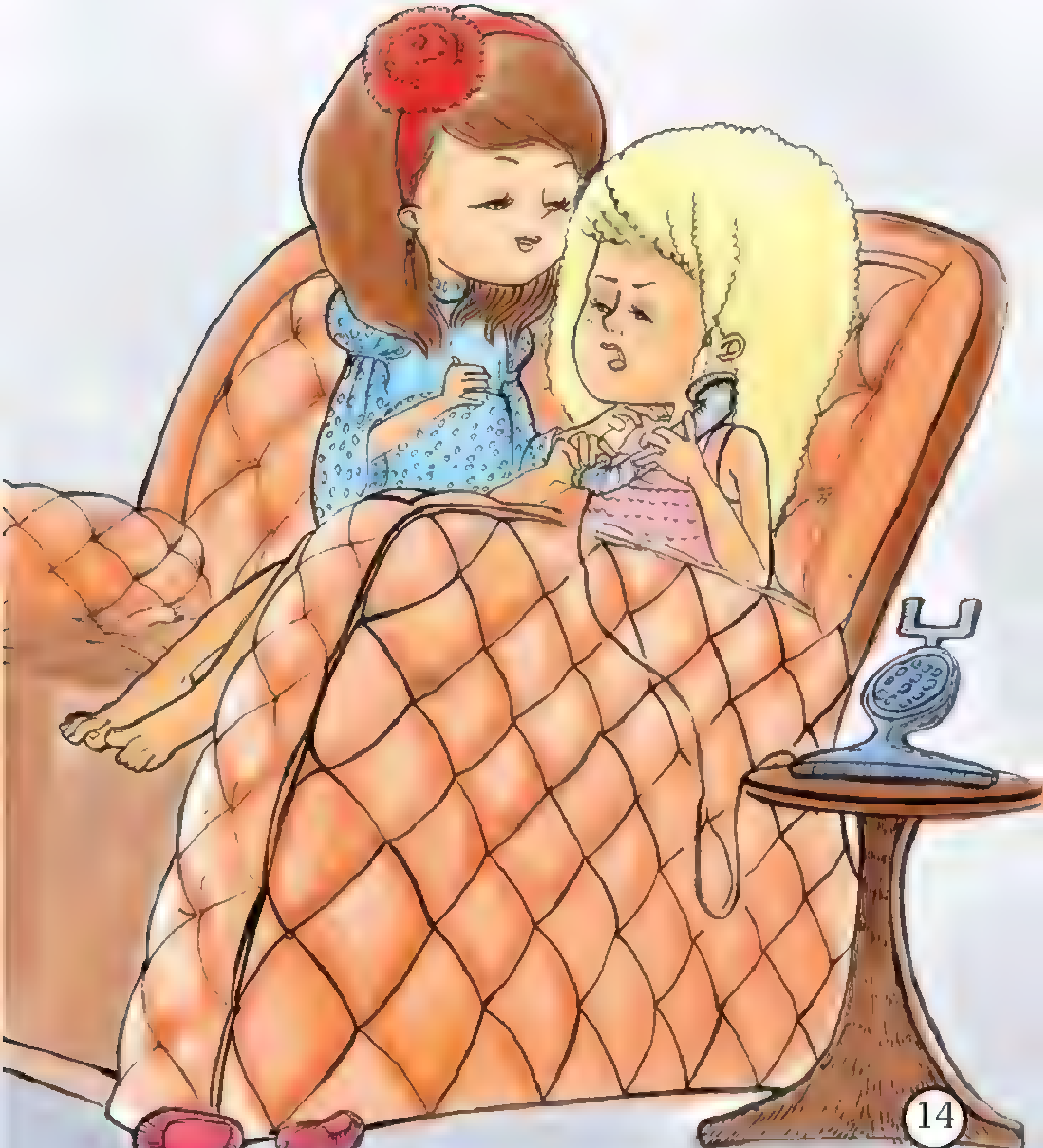

فعِندما كنتُ أتكلَّمُ على الهاتِف مع صَديقاتي، تكونُ حاضِرة بكلِّ آذانٍ صاغيةٍ. لقد علمتُ الآنَ أنَّ الكلامَ الذي يُقالُ حولَ وُجودِ أباريقَ صَغيرةٍ ذات آذانٍ كبيرةٍ كان يُقصدُ بهِ الأخَوات الصَّغيرات! وكانَت غالباً ما تتسلَّلُ خِلسةً إلى الغُرفةِ عندَما أكونُ برفقةِ صديقتيَّ الفَتاتَين المفضلتَين كاترين وديبي لكي تَنام، فأجلِسُ أنا هادِئةً مثل الفَأرةِ التي لا ترغَبُ أن يحسَّ أيُّ أحدٍ بوجودِها المشؤوم فيصرُخ. لا أذكرُ عددَ المرّاتِ التي كنتُ أطردُها فيها بغَضبٍ وأغلقُ البابَ بعُنفٍ، وهذا يؤدّي إلى مزيدٍ من المأساةِ باعتِبارِه دليلاً أنَّ الصَّغيرةَ الشقيَّةَ ستذهبُ مُباشرةً إلى أمّي وتزعَقَ بصَوتٍ عالٍ، وهذا يَعني عادةً محاضرةً طويلةً من والديَّ حولَ كيفَ يجبُ أن أتوقَّفَ عن استِعداءِ أُختي!

وفي المنزِلِ لم أكُن أستطيعُ انتظارَ مُرورِ الوَقتِ للذَّهابِ إلى الكلّيّة كَي أحسَّ بالراحةِ، فهي تُربكُني بشكلٍ كبيرٍ. ففي يَومٍ من الأيامِ رأَتني أحاولُ ارتِداءَ حِذاءَ كريستيان لوبوتان ذي الكَعبِ العَالي الخاصّ بأُمّي، أردتُ أن أعرفَ كيفَ تتمكَّن من السَّيرِ بِه. وحينَما تمرُّ تيري في البَلدةِ التي تبعُدُ فقَط بضعَ دقائِق فإنّها تخبِرُ الجميعَ كيفَ تجرِّبُ ألي أشياءَ أمِّها عندَما تكونُ غائِبةً عن المنزلِ، بالرَّغمِ من أنَّ هذا يكونُ سِراً صغيراً بينَنا. كانَت أمّي تضعُ بعضَ الأشياء الجميلةِ في خِزانةِ ملابِسِها، وكنّا نجدُ المتعةَ دائِماً في ارتداءِ ملابِسِها أو اللَّعبِ بأحمرِ الشِّفاهِ خاصَّتِها. وكنتُ دائِماً بعدَ استعمالِها أُعيدُها إلى مكانِها، ولا يحصلُ بها ضَررٌ أو مشكلةٌ، إلا إذا كانَت تلك الثّرثارةُ موجودةً.

لقد مرَّت بي أوقاتٌ فكَّرتُ فيها بوضعِ إعلانٍ في إحدَى الصُّحُف يقولُ: هل تَبحَث عن أُخت؟ يمكنكَ أن تحصُلَ على أُختي، مجّاناً.

لقد كانَت الحياةُ جيّدةً حتّى أصبَحَ عُمري خَمسَ سنَواتٍ.. كان يعمُّها السَّلام! ثمَّ جاءَت تيري.. وكنتُ أحبُّ تعذيبَها فأدلّها كيفَ يمكنُها

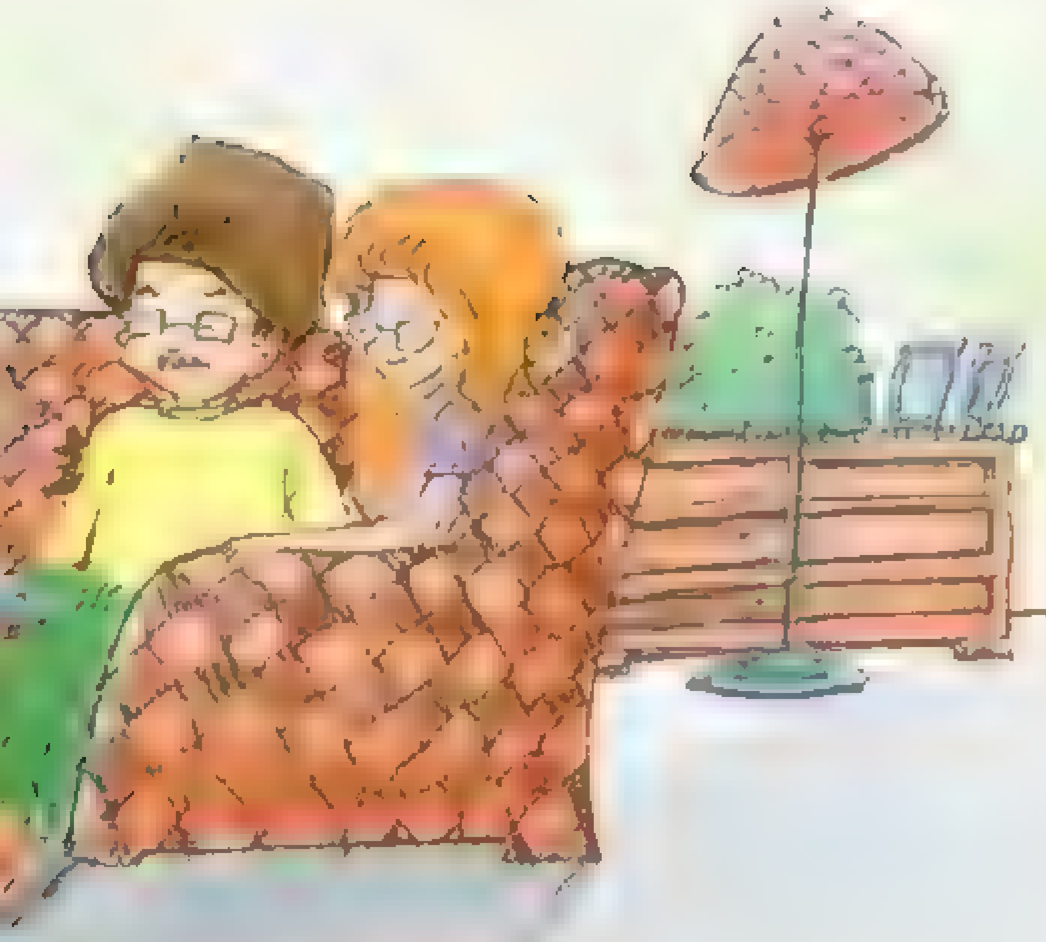

أن تغادرَ عتبةَ بابِ المنزِل،
وكانَت عندَما يجدُها والدايَ
تكادُ تُخرجُ أحشاءَها من
شِدّةِ الصُّراخِ وتصيحُ كمُجرمٍ
أزرَق.. ولم يكُن لدَيهِما خيارٌ سِوى أن
يُعيداها إلى داخلِ المنزِل.

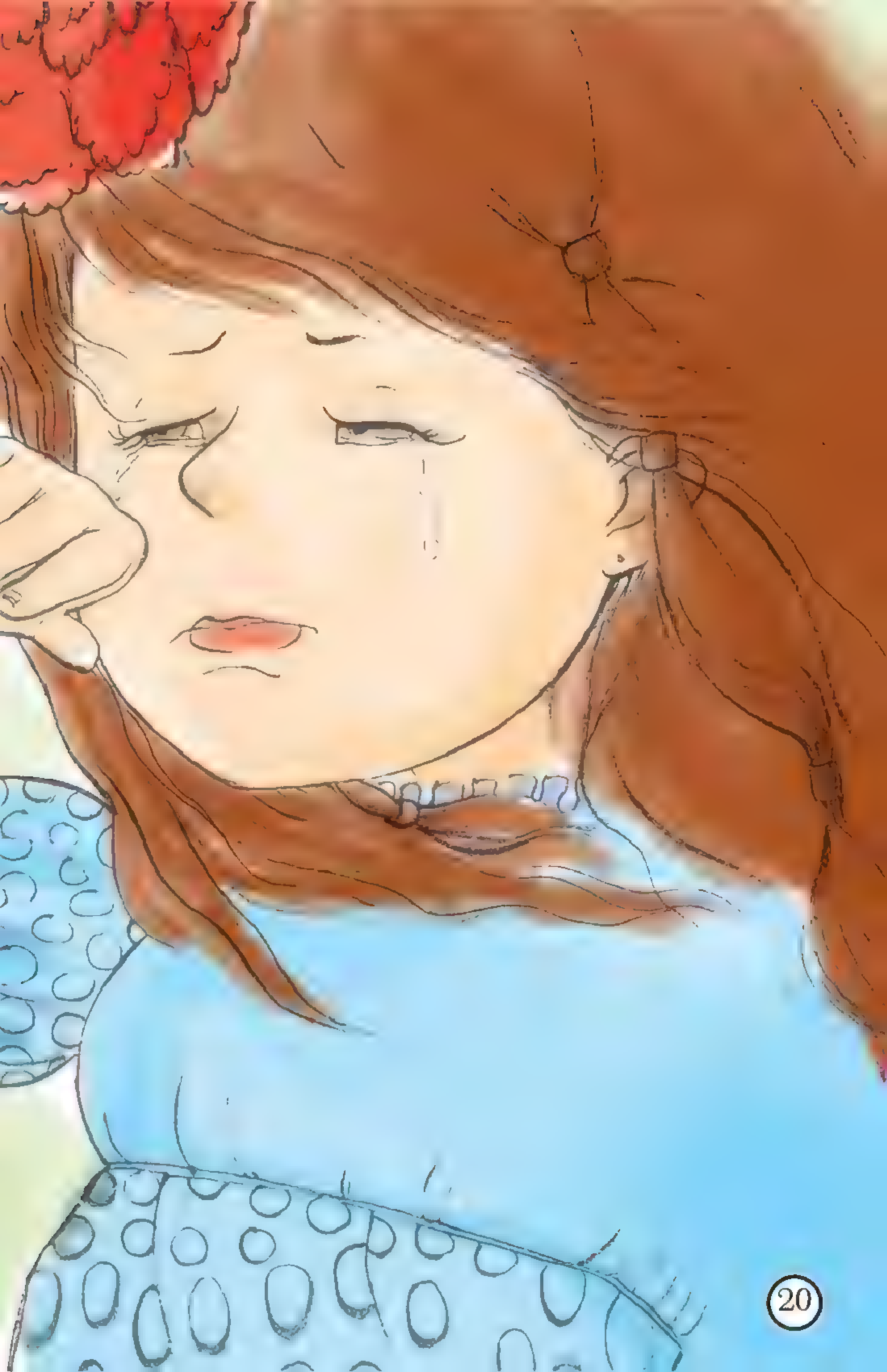

وكَثيراً ما كنتُ أخبرُ تيري قِصةً مخيفةً باستِمتاعٍ
كبيرٍ.. إنّه من الممتِعِ مشاهَدةُ وجهِها يتجعَّد
ودموعُها تنهَمِر على وجهِها السَّمين
لأنّها مغتَاظَةٌ منّي، فتقومُ بضَربي
بواسِطةِ قبَضاتِ أصابع يدِها وهيَ

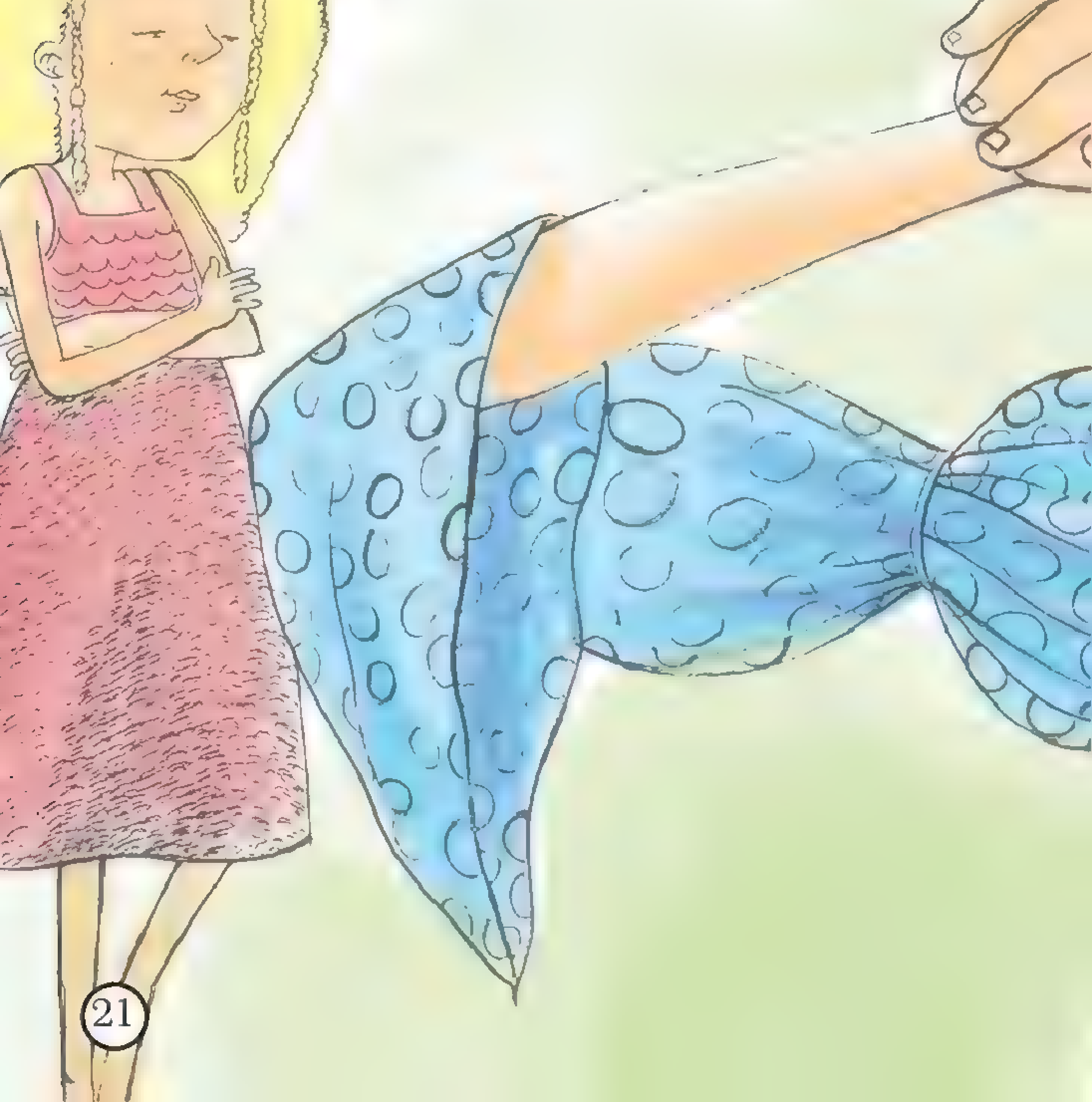

تقولُ: «كذّابة! كذّابة! أنا أكرَهكِ يا ألي!» وهي تصرُخُ بصوتِها المزعِجِ عالي النَّبرةِ، ثمَّ تقومُ بإمسَاكِ شَعري وتطلقُ كلَّ أنواعِ التَّوبيخِ. فيقومُ والدِي بتهدئتِنا عندما تكونُ آذانُنا لا تُصغِي

إلى توسُّلاتِه بأن نتوقَّف. وبعدَ كل ما يحصُل يكونُ الأمرُ «غير مُلائمٍ لفتاةٍ جيّدةً» (كما كانَت جدَّتي تقُول) عندَما نتصرَّف بهذه الطَّريقة.

وعلى الرَّغمِ من أنّني لم أشعُر بالفَخرِ بسببِ الكذِبِ على تيري، إلا أنّني شعرتُ بمتعةٍ خبيثةٍ في جعلِ تيري تَبكي.

ولا يمُّر نهارٌ لا نكونُ فيه قد تشَاجَرنا مع بعضِنا البَعض، فليسَ لديَّ صَبرٌ على الأطفالِ الأشقِياءِ. وللأسَف، كانَت تيري عزيزةً بالنسبةِ للعائِلةِ. وبعدَ أن كانَت هناكَ خَمسُ سنَواتٍ جيّدةٍ بينَنا، ولكَي أقولَ الحقيقةَ، شعرتُ بأنَّ عقلَها توقَّفَ عن النموِّ عندَما صارَ عُمرُها سنتَين، وربما قرَّرَت أنها تريدُ أن تَبقَى هكذا لبقيّةِ حياتِها.

كنتُ ألقّبُها بـ «تيري المرعِبَة». وعلى الرَّغمِ من

مظهَرها الذي يبدو لَطيفاً وضَعيفَ الشَّخصيّةِ، إلا أنّها بالتأكيد شِرّيرة قَليلاً.. وكَم تمنّيتُ أن أتخلَّصَ منها.. وكانَ من المحزِنِ أنَّ أمّي تقفُ دائِماً بجانِبِها.

وكونها شَقراء اللَّون وزَرقاء العينَين فإنّ لها ميزَة غير عادِلة في نظَرِ العائِلةِ، وكانَت الجدّةُ هيلين في كثيرٍ من الأحيَانِ تقومُ بالتنبُّؤ كيفَ ستكونُ تيريزا المذهِلة في غُضونِ السَّنَواتِ القَليلةِ القادِمةِ. بينَما كنتُ أنا، بشَعري ذي اللَّونِ الشَّبيهِ بلَونِ الفِئران والعينَين البنيَّتَين المملَّتَين، بالطَّبعِ العَقلَ الناضِجَ في الأُسرةِ.. وكانَ ذلك بالتأكيد غيرَ مريحٍ.. وفي الواقعِ، غير عادِلٍ أبداً! لقد أردتُ أنّ أكونَ أنا أيضاً رائِعة الجَمال.

على أيِّ حَال، لنَعُد إلى مربّيةِ الأطفَال! وافقتُ رُغماً عنّي.. ولم يكُن لديَّ خيارٌ آخَر بصِراحةٍ. وكانَ أبي بَعيداً في أحدِ مؤتمراتِه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأمّي أيضاً، والتي كانَت صَحافيّةً في الصَّحيفةِ الوَحيدةِ في بلدَتِنا الصَّغيرةِ، وكانَت تهرعُ مسرعةً للعودةِ إلى المكتبِ للعَمَل ساعاتٍ إضافيّةً في بعضِ الأحيانِ. لقد كانَ الأمرُ صَعباً بالنسبةِ لها. وكَثيراً ما شعرتُ

بالأسفِ تجاهَ أمّي لأنّها تحاولُ الحفاظَ على عَملِها وعلى مظهرِها كذلك. لهذا قلتُ نعَم، وتحمَّلتُ مدَّةَ ساعتَين من المطالبِ التي تُشبهُ الشَّللَ العَقليّ. لقد عملتُ مطوّلاً من أجلِ

التغييرِ لأنّني وعدتُ أمّي بأن أكونَ لَطيفةً. وبعدَ ساعتَين من اللَّعِب مع تيري بألعابِ التركيبِ (ليغو) خاصَّتِها، وأحياناً بلُعبةٍ قديمةٍ جداً تسمّى منزِل شَجرة أوليفيا وبالكثيرِ من دُمى سكوبي دو، أصبحتُ مُنهَكةً. وفي تلكَ الساعتَين حافظَتْ تيريزا على دفقٍ مستمرٍّ من الثَّرثرةِ طوالَ الوَقت، ولم تتوقَّف إلا عندَما كانَت تغمِسُ البَسكَويت في كوبِ الحليبِ لتأكلَه.. وشعرتُ بارتياحٍ عندما سمعتُ صوتَ مِفتاحٍ ورأَيت أمّي المنهَكة آتِية نحوَنا.

فسألَتني بلهفةٍ: «هل الأُمورُ جيّدة؟».. فأومَأتُ برَأسي موافِقةً في حين هرعَت تيري تَئنُّ بينَ ذراعَيها.

وبما أنّه على أمّي العمَل مرّة أُخرى هذا السَّبت، فقد قرَّرَت أن ترسِلَنا مع كاترين

لمشاهدةِ فيلمٍ في مركزٍ تجاريٍّ قريبٍ.. وكانَت كلوديا قد ذهبَت لتمضيةِ عُطلةِ نهايةِ الأُسبوع. وبعدَ تناوُل وجبةِ إفطارٍ سَريعةٍ جداً مكوَّنةٍ من الفَطائرِ والبَيض، أعطَتنا أمّي خَمسين دولاراً وهي تبتَسمُ ابتسامةً مليئةً بالإحسَاس بالذَّنْب، ثمَّ خرَجنا.

كانَت تيري المتحمِّسَة تتحدَّثُ بدونِ توقُّف
طيلةَ الخمسَةَ عشرةَ دَقيقةً التي استغرَقَها السَّير

إلى المركزِ التّجاريِّ.. وكانَت كاترين تبتَسِمُ بتصنُّع في كلِّ مرّةٍ نظرَتْ فيها إليَّ.. إنها لن تُسامحَني طيلةَ حياتِها. وكانَت، بعدَ كلِّ هذا،

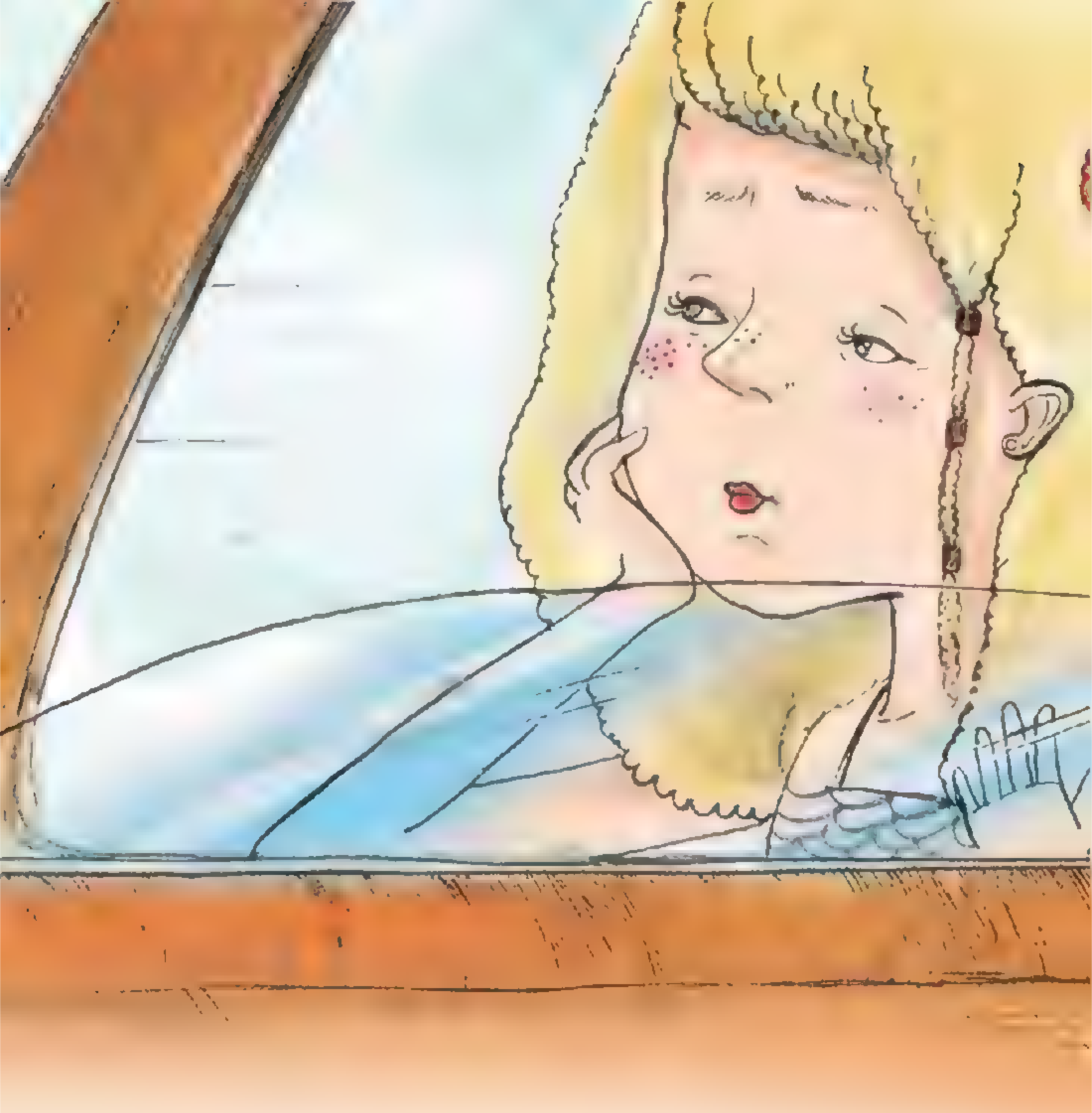

الطِّفلةُ الوحيدةُ أميرةً حقيقيّةٍ، بينَما كنتُ أنا خادِمةً لصاحبةِ الجلالةِ تيريزا.

كانَت تيري تتمَلملُ بعصبيّةٍ طوالَ الوَقت وتُشعِرني بالازدراءِ أيضاً. وكانَ يجبُ عليَّ

أن أصطحِبَها إلى المرحاضِ ألفَ مرّة! وبعدَ
ذلك، وبينَما كنا نقومُ ببعضِ التسوُّقِ المملّ،
اصطَدَمت تيري بصَفٍّ من الأحذيةِ في متجرِ

نوردستروم، ثمَّ فجَّرَت نوبةَ غَضبٍ في متجرِ ألدو للأَحذِية، وقد أحسَّت بتَرفٍ بفضلِ الحلوَى اللَّذيذة التي تناولَتْها.

لقد كانَت ببساطةٍ خارِجةً عن السَّيطرةِ.. وكنّا مجرّد أن نمرَّ بأيِّ مكانٍ تبدأُ بالبكاءِ وتئِنُّ مجدّداً. هذا ما حَصَل! فغَضبتُ ومشَيتُ

بعيداً قبلَ أن أصرُخ! وقفَت كاترين للحظةٍ
واحدةٍ وهي تبحثُ عنّي لكَي أعُود، ثمَّ رأتني
فأمسَكَت بذِراعي وقالَت «مَهلاً! إهدَئي»،
فتابعتُ المشي. وكانَت تيريزا عَنيدة

تنتَظرُ. بالطَّبعِ، لقد كنتُ سأعودُ إليها ، ولكنَّني كنتُ بحاجةٍ إلى خمسِ دَقائقَ فقَط لأَهدأَ بنَفسي. ثمَّ عُدنا بعدَ أن وصَلنا إلى متجرِ لاش. ولكنّ تيريزا لم تكُن في المكَان!

في البِدايةِ، ظننّا أنها تختَبئ في مَكانٍ ما، فقد فعلَت ذلك كثيراً من قَبل. ولكِن، وبعدَ مُرورِ سَاعة، أصبَحتُ أشكُّ بأنّها مختبِئة. وعندَما سألنَا المرأةَ التي تعملُ في خِدمةِ الزَّبائِن قالَت بأنّها لم ترَ أيّة فتاةٍ صغيرةٍ بفُستانٍ أزرَق، ثمَّ قالَت لنا بكلِّ صراحةٍ أنها لا توافِقُ الآباءَ والأمَّهات الذين يتركونَ بناتِهم الصَّغيرات دُونَ وَصيّ يرعاهُم. إنّها امرأةٌ رهيبةٌ! ولكنَّها كانَت على حَقّ. لقد كنتُ في أسوَأ حالٍ، الشقيقةُ العديمةُ المسؤوليةُ أكثَر من أيِّ وقتٍ مضَى، وكانَت تيري تبلغُ سبعَ سنَواتٍ من العُمرِ فقَط.

وكانَت لا تزالُ مجرَّدَ طِفلة.. كان لدَيها كلُّ الحقِّ بأن تتصرَّفَ بالطريقةِ التي فَعلَت..

ماذا أتوقَّعُ منها؟ لقد كنتُ أنا التي أتصرَّفُ وكأنّني المعتوهَةُ المطلَقةُ! أليسَت الأختُ الكبيرةُ يفترضُ بها أن تكونَ وصيّةً على الأشقّاءِ الأصغرِ سِنّاً؟ تحميهِم وتقولُ لهُم

«أنا سنَدكم».. بدأَت صُوَرُ الطّفلةِ الصَّغيرةِ تيريزا تدورُ في ذِهني.. لقد كانَت مثلَ طِفلٍ ملائكيٍّ لامعٍ بالرَّغمِ من أنّها لا توقّرني مطلَقاً، أنا شقيقتُها الكُبرى. لقد كانَت تُغضبُني دائِماً

عندَما كانَت تقلِّدُ تَصفيفَةَ شَعري أو تمشِي بحِذائي.. ولكنّني فعلتُ الشَّيءَ نفسَه تماماً مع أمّي حينَ أردتُ أن أكونَ مثلَها.. وتيري تريدُ أن تكونَ مِثلي!

انهمَرَت الدُّموعُ على خَديَّ حينَ رحتُ أبحثُ عَنها في غُرفِ المراحيضِ مرّةً أُخرى.. إنّ اللهَ يعاقبُني بسببِ خُبثي.. لن أستطيعَ العودةَ إلى المنزلِ.. كيفَ سأواجِهُ والديَّ؟ وفجأةً سمعتُ صُراخَ كاترين: «ألي، هل أنتِ هنا؟» وكانَت كاترين تلتقِطُ أنفاسَها وهي تقولُ لي أنّها تلقَّت اتّصالاً على هاتِفِها المحمُول من مَتجرِ العَلامةِ المميَّزةِ هولمارك..

وكانَ الحظُّ أنّ كاترين اشترَت بعضَ الأشياءِ من هناك، وتركَت رقمَ هاتِفِها للاشتِراكِ

Aly!!! are you here?"...
REST ROOM

فِي عرضِ بِطاقةِ الهدايا.. لقد وجَدَت سيّدةُ
المبيعاتِ أُختي بالقربِ من معرِضِ الألعابِ
المحشوَّةِ نائمةً في إحدَى الزّوايا وهي غَافلةٌ

عن العالمِ. وقد تذكرَتْ أنّ تيريزا قدِمَت معَنا.

وكانَت تيري تحتَضِنُ حيَواناً محشوّاً.. فأيقظتُها واحتَضنتُها بحرارةٍ. لقد أصرَّت على دَفعِ ثمنِ اللُّعبةِ.

وكانَت قد حملَت بعضَ المالِ من حصّالتِها في صَباحِ ذلك اليَوم.. لقد كنتُ أشهَقُ

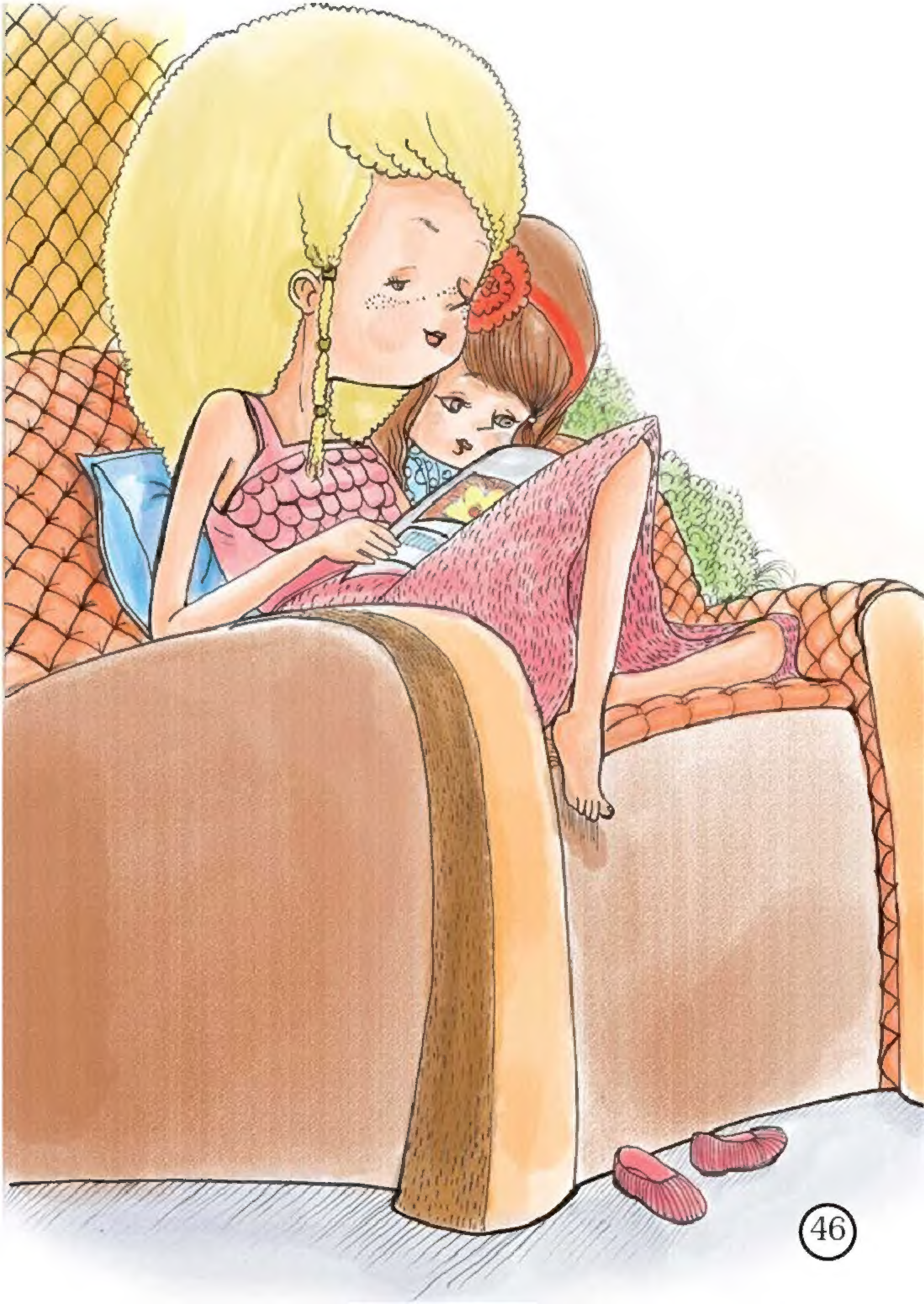

بالبُكاءِ طوالَ الطَّريقِ إلى البَيت، خاصّةً بعدَ أن علمتُ أنّ اللُّعبةَ كانَت هديّةً لي.. لم أمانِع بأن تكونَ زرافةً أُرجوانيةً.. كنتُ فقَط سعيدةً جداً باستِعادةِ أُختي.. ففي هذا اليَوم استَطعتُ الانتِباهَ لتيري وحمايتِها من السَّحرةِ والعفَاريت.. وأصبَحَ بإمكانها أن تشاركَني في تحضيرِ خِدعةٍ ما وأكلِ الحَلوى أيضاً. ولم يكُن تدوينُ مذكّراتي هذا الشَّهر تمحوَرَ حولَ الفَشَل، بل حولَ الأَخَوات الصَّغيرات اللَّواتي يجعلنَ الحياةَ جَميلةً.

العِبرَة من القِصَّة:

الأشخاصُ المسؤُولون لا يعتَمدونَ على أنفُسِهم فقَط، ولكنَّهم يُظهِرون للآخَرين أنّه يمكنُ الاعتِمادُ عليهِم.